## المروجون للمشروع الأردوغاني.. النخب التي تسبق الأساطيل

## أبويعرب المرزوقي يقتفي أثر التوسع التركي ويندد بالعثمانوفوبيا

تحتاج كل المشاريع التوسعية القائمة على استرجاع الماضي، إلى منصات فكرية وأيديولوجية تسبقها وتمهد لها الطريق. المشروع التوسعى التركى الذي تسارعت خطواته في السنوات الأخيرة، احتاج "نخبا" تسبقه وتروّج له وتُسـوّق لمقولاته، وقد تصدى لذلك العديد من الكتاب والمفكرين العرب، كانوا ملكيين أكثر من الملك وعثمانيين أكثر من الأتراك. سبقت تلك النخب العربية الأسلطيل والجيوش التركية في أكثر من ميدان، وكانت تروّج لنجاعـة المنجز التركى بخلفيات إسـلامية وتاريخية، ومـن ذلك ما يكتبه الكاتب والفيلسـوف التونسـي أبويعرب المرزوقي من مقالات تمجد الدور العثماني في المنطقة وتبرر تدخله سواء في سوريا أو في ليبيا.



عبدالجليل معالي كاتب وصحافي تونسي

🥊 نشــرت وكالة الأناضــول التركية يوم الاثنين الـ6 من يناير الجاري، مقالة لأبي يعرب المرزوقي موسومة بعنوان "العرب ليس لديهم ما يخيفهم من تركيا"، ولئن شددت الوكالة في أخر المقالة على أن "الأراء الـواردة في المقال (بتصرف) لا تعبر بالضرورة عن سياسة الأناضول التحريرية" إلا أن النشسر يمثل "احتفاء" واضحا بالنص ومحتواه وبما يضمره من أفكار سياسية. يشار أيضا إلى أن المقالة المنشـورة في وكالـة الأناضول، هى نسخ لنص نشره أبويعرب المرزوقي في موقعه الرسمي، يوم الـ24 من ديسمبر 2019، وحمل عنوانا أكثر خطورة ومباشرة ودلالة وهو "العثمانوفوييا"، بما تعنيه، عند المرزوقي، من خوف ورهاب من تركيا العثمانية.

لن يجد المشروع التركي ُ مروجين أفضل وأكثر كفاءة من بعض المفكرين العرب، خاصة ممن يجمعون بين الصيت الفكري والانتماء العقائدي الإسلامي

الواقع أن أبا يعرب المرزوقي حاول فــى النص المشـــار إليه إبــداء "تفهمه" للخوف اليوناني والفرنسىي والبرتغالي والألماني والفارسي مما سيماه "تقدم تركيا وطموحها لاستعادة ذاتها ودورها ومجدها"، لكنه عبّر عن استغرابه وجزعه من الخوف الإســرائيلي والعربي من ذلك التقدم، وبصرف النظر عن مساواته بين التخوّفين، الإسرائيلي والعربي، فإن استغرابه من التخوّف العربي من تقدم

على أنه "لولا السلاجقة لذهبت ريح السنة والعرب، ولولا العثمانيون لما بقى مسلم في الإقليم، فحرب الاسترداد كانت مفاصل من كتب التاريخ.

لا ينسجمان مع دور مفكر وفيلسوف يفترض به إبداء قدر من الرصانة والهدوء المعرفيين، ولربط منجزه الفكري بالمنجز التركسي الجديد على المياديس العربية، فإننا تلحظ أن نصوصه تسبق الفعل السياسي والعسكري التركي. ولذلك نذكر أن مقالة "العرب ليس ما لديهم ما يخيفهم من تركيا" ليست المقالة الوحيدة في هذا المجال الذي اختص به أبويعرب المرزوقي، إذ نطالع في موقعه الرســمي العشسرات مسن النصوص التسى تتفاعل مع الشــؤون العربية والإسلامية، وكلها مشـوبة بنفس ينافح عـن "الدور التركي الطليعي" في المنطقة حيث يقول في نص "نبع السلام، والمواقف من مهابة تركيا"، المنشور يوم الـ14 من أكتوبر 2019، "ما يخيف الجميع أي عملاء الحكام العرب وعمــلاء الملالي في إيران وعملاء الحاخامات في إسرائيل وأمريكا وروسيا هو أنهم جميعا أصبحوا متيقنين مـن أن تركيا لـو كانت وحدها فإنها قد يستطيعون حصارها. لكنها صارت في قلوب كل أبناء الإقليم من الماء إلــىٰ الماء ممثلة للشـعوب التي لم تقطع

لفوائدها السياسية والاقتصادية

أقوى حتى من الصليبيات لأن هذه حدثت لمّا كان الإسلام أكثر تقدما وقوة وتلك حدثت لمًا شرعت الأمة في الانحدار على كل المستويات الروحية والمادية". هنا كان المرزوقي تاريخيا في قراءة الراهن، يمارس ليّا لَعنق الوقائـُع الراهنة بزج يكتب المرزوقي نصوصا تذود عن الدور التركي بحماسة واندفاع قد

مع حضارتها وطموحها للاستئَّنافُ".

يواظب أبويعرب المرزوقي على التفاعل مع التحركات التركية، ويسبقها بنصوص "فكرية" تسوّق لها أو تروّج



والحضارية على الأمة العربية الإسلامية، ولذلك يقلب الآية وينتقد الخائفين من الــدور التركي ممن يســميهم الـ"خائفين

من الاستئناف عامة ومن عودة تركيا لحاضنتها الإسلامية ولماضي أجدادهم ومجدهم خاصة".

أبويعــرب المرزوقي لا يغــرّد وحيدا خارج سرب النخب العربية التي تسبق الأساطيل التركية، بل تسانده في ذلك طائفة واسعة من السياسيين والمفكرين، ومنهم أحمد ونيّس، الدبلوماسي التونسي ووزير الخارجية الأسبق، الـذي ذهب فـى اتجاه معاكـس لغالبية الآراء المتفاعلة مع التدخل التركي في ليبيا حين قال إن "التدخل التركي في ليبيا يدفع نحو الحل السلمي وينزع فتيل الحرب"، واعتبر أن " تدخَّل تركيا لفائدة فايز السراج سيعدل ميزان القوى العسكرى على أرض الميدان وبالتالي سيدفع الطرفين إلى الحلول السلمية بدل الدخول في حرب استنزاف لا تخدم

من يقرأها على أساس المصلحة ولئن اكتفىٰ أحمد ونيَّس بالموقف الأيديولوجية الصرّفة. السياسىي في محاولته تبريس التدخل تعتبس المعارضة التركية أن إرسسال التركي، فإن أبا يعرب المرزوقي احتاج الجنود الأتراك إلى ليبيا يعبّر عن سياسة عُـدّة أكثر تنوعـا وتكثيفـا، حيث دجج نصوصه الأخيرة، التي ركزت على

الدولة بل يعبّر عن سياسة الإخوان المتمثلة في حزب العدالة والتنمية (مثلما مركزية الدور التركي، بإحالات تاريخية أشار لذلك موسئ بير أوغلو نائب حزب ودينية وفقهية واقتصادية وسياسية، الشعوب الديمقراطي التركي المعارض)، وتجوّل بين مفاهيم الاستئناف والحروب في حين ترى التّخب الإخوانية أنْ الصليبية وحروب الاسترداد والخلافة ذلك التدخل يمثل الأمل الأخير لإنقاذ والجزية وغيرها من المفاهيم المشتقة التيارات الإسلامية والإخوانية في ليبيا، فضلًا عمًّا يمثله من ميلان لكفة المحور الملاحظ أن تهليل بعض الكتابات الأيديولوجي الإخواني بعد خساراته في العربية بالتدخل التركى في ليبيا،

أكثر من جبهة العربية. مفيد الإشارة إلى أن للمفكرين والكتاب العرب المروجين للمشروع التركى، فائدة مزدوجة للجانب التركى. فاعتبارهم من غير الأتراك فإنه يتم تقديمهم والاحتفاء بكتاباتهم ومواقفهم، علئ أساس أنهم يمثلون الصوت الموضوعي البديل والمقابل للكتابات الناقدة والمناهضة للتوسيع التركي.

أما الفائدة الثانية فتتمثل في أن آراءهم يمكن أن تلقىٰ قبولا عربيا قد لا يتوفر للكتابات التركية التي تذود عن السياسة

نخب عربية تمهد طريق الأساطيل التركية

ولذلك نفهم كيف تسارع وكالة الأناضول وغيرها من المواقع التركية الناطقة باللغة العربية إلى نشس مثل هذه المواقف والكتابات، ومنها مقالة أبي يعرب المرزوقي "العرب ليس لديهم ما يخيفهم من تركيا" (أو العثمانوفوبيا في نسختها الأصلية).

لن يجد المشروع التوسعي التركي مروجين أفضل وأكثر "كفاءة" من بعض الكتَّاب والمفكرين العرب، خاصة ممن يجمعون بين الصيت الفكري والانتماء العقائدي الإسلامي، ولذلك نجدهم يستبقون الفعل السياسي التركي بمحاولات فكرية لتبريره والتسويق له، متنكرين لمن احتفى بهم من العرب ومنحهم الجوائز، في نسق فكري يتقصد مغازلة الوجدان الشعبي العام بأستعادة المجد الإسلامي واستئناف التاريخ.

## الإيمان بمجيء «المهدي» قد يكون كارثة على تركيا

بالقراءات السياسية للواقع الداخلي والخارجي، بل هي محكومة أيضا بجملة من المعتقدات الدينية والمرويات التاريخية. ولعل عودة الحديث في تركيا عن المهدى المنتظر لا تصنف فقط من قبيل الأوهام والأساطير، بلّ يتوجب النظر إليها على أساس أنها عقلية إسلامية تسود الآن في تركيا وتطورت إلى مرتبة التأثير في السياسة الخارجية.



إرغون باباهان صحافي تركي

و قال عدنان تانيفيردي، كبير المستشارين العسكريين للرئيس التركى رجب طيب أردوغان ومؤسس شركة سادات شبه العسكرية التى ترعاها الحكومة التركية، الأسبوع الماضي إن شركته تمهد الطريق لوصول المهدي، الشحصية الدينية التي طال انتظارها، والتى يقول بعض المسلمين إنه سيأتي لنشر الإسلام الصحيح.

إذا وضعنا ذلك إلى جانب سياسة أردوغان التوسعية في ليبيا بعد سنوات من العمليات العسكرية في سوريا، فسنجد أن تعليقات تانيفيردي تكشف عن المعتقدات الدينية التي تقوم عليها سياسة تركيا الخارجية القائمة على الحيش. لقد وُضعت تركيا في أيدي أولئك الذين تعتبر صحتهم العقلية وحكمهم موضع تساؤل وقد دخلت في طريق خطير.

في هذا السياق قال غوكهان باجيك الكاتب في موقع أحوال تركية، إن مفهوم المهدي لـم يكن متجذراً فـي الأصل في الإسلام، ولكنه نشأ في القرن الثاني عشر

من خلال أحاديث مثيرة للجدل منسوبة إلــىٰ النبي محمد. ويقول هذا الاعتقاد إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سـنة من يجدّد لها دينها، وسيكون آخر هؤلاء المجددين هو المهدي. ويُعتقد أنه المُخلّص للإسسلام الذي سيظهر قبل يوم القيامة ويحقق العدالة في العالم.

ووفقاً لهذه الأحاديث، فإن أتباع المهدي متفوقون مثله. وللحصول على الهبات الممنوحة للمهدي وأتباعه، ولإثبات أن زعيمهم هو المهدي الذي طال انتظاره، اختلقت الجماعات الإسلامية العشسرات من الأحاديث على مر التاريخ. وقال البعض إن المهدي سيظهر في العاصمة السورية دمشق. في حين قال أخرون إنه سيظهر في إسطنبول بتركيا، أو المدينة المنورة في المملكة العربية

ويقول تانيفيردي، الجنرال المتقاعد، إن تركيا تستعد لظهور المهدي. ووفقا لهذا الخطاب، يُنظر إلىٰ أردوغان إما علىٰ أنه المهدي، أو علىٰ أنه أحد تلاميذه.

والخطاب بشأن المهدى ليس حصرياً لدى أنصار أردوغان في تركيا. فأعضاء حركــة فتــح الله غولــن الدينيــة، الذين واجهوا الاتهام بتدبير محاولة الانقلاب الفاشلة في العام 2016، ينظرون إليه

الداعية الذي يتخذ من الولايات المتحدة مقراً له سيعود من المنفى الاختياري إلى

تركيا للاضطلاع بهذا الدور. الإيمان بظهور المهدي لا يختلف في معظم الحالات عن المعتقدات الدينية الأخرى غير الضارة. يثير بيان تانيفيردي احتمالاً خطيراً يتمثل في أن السياسة الخارجية التركية أصبحت منفصلة عن العقل ويتم تحديدها وفقاً للمعتقدات

الدينية لمجموعة من المتعصبين. قد يكون هذا الإيمان بظهور المهدي هو الذي يدفع تركيا إلىٰ مغامرة عسكرية

للمصلحة الوطنية. فقد وافق البرلمان التركي على اقتراح يسمح للحكومة بإرسال قوات إلى ليبيا. وستتولى علىٰ الأرجح الوحدات العسكرية المراد إرسالها أمر المرتزقة الجهاديين الذين يتقاضي كل منهم راتبا شهريا يبلغ 2000 والذين تم اختيارهم من الجماعات الإسلامية في سوريا.

في غالبها من تاريخ القرون الوسطي.

يتماهى مع مواقف مختلف الجماعات

الإخوانية العربية، ويتناقض في الوقت

نفسه مع مواقف العديد من التيارات

التركيـة المعارضة لسياسات أردوغان

الخارجية، وما بين تهليل بعض النخب

العربية المتأسطمة بالتوسيع التركى،

ومعارضة فئات كثيرة من الأتراك له،

ترتسم المسافة بين من يقيّم المواقف

على أساس مصلحة الوطن وبين

ستخوض تركيا حرباً من خلال جيش يتكون من متشددين جهاديين تم تصنيفهم كإرهابيين من قبل دول عديدة بما في ذلك روسيا، التي أخذت صف

ں انوطنسی انا في ليبيا. يبدو هذا التحول لا يُصدق بالنسبة إلى بلد حلم بأن يصبح عضوا في الاتحاد الأوروبي قبل عشر سنوات. ثمـة خطر كبير على بـاب تركيا. إذا طال أمد الحرب في ليبيا، فإن العمل السياسىي من قبل خصوم أنقرة في المنطقة قد يؤدي إلى إضافة تركيا إلى قائمة السدول الراعية للإرهاب، لاسسيما إذا كان وكلاؤها العسكريون يتحملون مُسؤولية الهجمات الإرهابية في الغرب. يُظهر لنا التاريخ النتائب القاتلة



سياسة خارجية قائمة على المرويات الدينية

أصبحت منفصلة عن العقل، ويتم تحديدها الآن وفقا للمعتقدات الدينية لمجموعة من المتعصبين نظرنا إلى سياسات أنور باشا المغامرة

والتوسيعية خلال السينوات الأولى من

السياسة الخارجية التركية

القرن السابق في المنطقة فإنها تكفي لفهم التكاليف التي تنطوي عليها مثل تلك المشاريع. كان أنور باشا، وهو عضو قيادي

في جمعية الاتحاد والترقي والحكومة العثمانية بين 1913 و1918، من عموم الإسلاميين. وبسبب القرارات القائمة على معتقداته الدينية، فقد عشرات الآلاف من الجنود العثمانيين أرواحهم في حملــة القوقاز ضد الروس بين عامي 1915 و1915. ثـم فقد أنور باشـا حياته في حربه لإقامة إمبراطورية إسلامية في

يبدو أن أردوغان وحزبه يسعيان لتحقيق أحلام أنور باشا، إذ أنهما غير راضيين عن النهج السلمي للسياسة الخارجية الذي تبناه مؤسس الجمهورية التركية مصطفىٰ كمال أتاتورك.

هذه هي العقلية الإسلامية التي تسود الآن في تركيا. يدرك الإسلاميون أنه لا يمكن سـد الفجوة في مسـتوى التنمية بين العالم الإسلامي والحضارة الغربية. لذلك يبدو أنهم علقوا أمالهم على مهدي سيظهر ويضع نهاية لمشاكلهم. وهذا الوضع مبعث قلق بالغ لتركيا.